

# كنز العلو والدار المظوم

في حقائق علم الشريعة  
ودقائق علم الطبيعة

للإمام العلامة

جمال الدين محمد بن تومرت الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢٤ هـ

تقديم وتحقيق

أيمن عبد الجابر البحيري

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تفتى

### المقدمة

الحمد لله الأول بلا بداية فى أزليته ، الآخر بلا<sup>(١)</sup> نهاية فى أبديته ،  
الظاهر فوق كل شىء ببدیع صنعته ، الباطن فى كل شىء بعلمه وقدرته ،  
الذى نور قلوب العارفين بمصابيح معرفته ، واختصهم بقربه وأجلسهم فى  
حضرة جمال بهجته ، وألبسهم خلع رضاه وسقام كأس<sup>(٢)</sup> محبته ، وأفاض  
عليهم أنوار علمه وحكمته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزّهة لله عما سواه  
فى ذاته وصفاته وعظمته ، ومحقق لوحدانيته وربوبيته ، ومفتقر إلى نيل  
كرمه ورحمته .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله [أول نبي نبأه الله وآخر رسول أرسله  
برسالته]<sup>(٣)</sup> ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأهل ملته ما تحرك  
متحرك وما سكن ساكن بحول الله وقوته .

أما بعد : فإن لكل عالم منهاج ينهج فيه من العلوم إلى الأهم فالأهم ،  
ومعراج يعرج به فيها إلى سماء معالى الهمم ، وسراج وهّاج ينور به ما  
احلوك من دياجى الظلم ، فمن أسرج نبراس الحق ودقائق مسالك الهداية  
بالحجج القاطعات، والبراهين الساطعات ، فقد برح<sup>(٤)</sup> من الضلالة [برعات  
الشياطين ؛ من البروق اللامعات]<sup>(٥)</sup> ، قال ﷺ : ((الولا العلماء من بعدى ،

(١) فى النسخة (أ) لا .

(٢) فى النسخة (أ) ، (ك) : بكأس .

(٣) ما بين المعكوفتين ، فى النسخة (ع) فقط .

(٤) فى النسخة (ك) : نزح .

(٥) فى النسخة (ك) : برعات شياطين بروق خلت مشكلاتها اللامعات . ورعات  
الشياطين ، أى سكونها .

لرجع الناس إلى الجاهلية الجهلاء))<sup>(٦)</sup> . إذا كانت المواهب من الله اختصاصية والعطايا منه ابتداعية ، وكان الله قائماً بالأمر ؛ فغير بعيد أن يودع من المتأخرين رواة عن أكثر المتقدمين ، كما أودع أسرار العظيمة الجسيمة ، فأظهرها في آخر النبيين وآخر المرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقد أعرب وأعرب من وفق بتوفيق التحقيق وهُدَى فاهتدى إلى سواء الطريق ، فأقول معلنا بلسان حق : الحق إن أفضل العلوم المعرفة بالله عز وجل ؛ هي مقصود كل علم وثمرته ولب لبابه .

وجميع العلوم النافعة مندرجة تحت علم الشريعة وعلم الطبيعة .

أما علم الشريعة<sup>(٧)</sup> : فهو علم الدين القيم الشافى من داء معصية الملك العلام، وهو مندوب إليه شرعاً . قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى : ١٣] .

(٦) لم نعثر عليه فيما بين أيدينا من مصادر مطبوعة . وجاء في فضل العلم والعلماء آثار كثيرة وصحيحة ، ومنها ما رواه البخارى فى صحيحه عن ابن عمرو قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رعوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)) . البخارى : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم (١٠٠) .

(٧) الشريعة فى اللغة : الطريق الظاهر الذى يوصل منه إلى الماء ، يقال : شرعت الإبل شرعاً وشروعاً : إذا وردت الماء . وقد تطلق الشريعة على الدين كما قال المصنف . فالشريعة ما جاءت به الرسل من عند الله تعالى بقصد هداية البشر إلى الحق فى الاعتقاد وإلى الخير فى السلوك ، والمعاملة ، وهى بهذا المعنى تشكل كلمة شريعة على الجانب الاعتقادى والجانب العملى ، وكلاهما يطابق المفهوم الكامل للدين . [روح المعانى للألوسى : فى تفسير قوله تعالى ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً﴾ [المائدة ٤٨] . فى التعريفات للجرجاني ص ١٦٧ ، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية . د/ يوسف العالم ص ٢٠] .

ومقصود الحكمة<sup>(٨)</sup> : حقائق علم الشريعة ، ودقائق علم الطبيعة .  
وفائدة ذلك : تمييز الخالق من الخلاق ، وتنزيه الله سبحانه وتعالى  
عما سواه ؛ فذلك هو حقيقة العلم وقصد المراد منه ، والله أعلم .

وأما علم الطبيعة<sup>(٩)</sup> : فهو علم الحكمة التي كتبه الله بيد قدرته ، وأبدع  
فيه مخترعات صنعته ؛ ليدل بذلك على حقيقة معرفته ، ثم نبه عليه  
بقوله تعالى ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا  
وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

ومقصود الحكمة<sup>(١٠)</sup> : معرفة ما أودع الله في علم الطبيعة من

---

(٨) الحكمة : وضع الشيء في موضعه . ومقصدها علم يُنحَث فيه عن حقائق الأشياء  
على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية ومنها : الحكمة الإلهية ، والحكمة  
المسكوت عنها ، الحكمة المنطوق بها . [التعريفات للرجزاني ص ١٢٣ ، حدود  
الألفاظ المتداولة لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ص ١٣] .

(٩) علم الطبيعة هو : قراءة الكون أو كتاب الله المنظور ، فهي قراءة كونية شاملة لآثار  
القدرة الإلهية ، وصفاتها وخلق الإنسان ، وسائر الظواهر الكونية ، وملاحظة ربوبية  
البارى جلّ شأنه وكرمه البالغ في خلق الإنسان واستخلافه ، واثمائه على الكون ،  
ونديه لإعمارهِ وتسخيره .

(١٠) والحاصل من كلام المصنف رحمه الله فكرة الجمع بين القراءتين : قراءة الوحي ،  
وهو ما سماه : حقائق علم الشريعة ، وقراءة الكون ، وهو ما سماه : دقائق علم  
الطبيعة . يقول الدكتور طه جابر العلوانى : والإصطلاح على فكرة الجمع بين  
القراءتين ، وردت عند الحارث المحاسبى بشكل مجمل في كتاب (العقل وفهم القرآن)  
حيث أشار رحمه الله تعالى إلى أنّ فهم القرآن يحتاج إلى فهم الكون كما أن الفخر  
الرازى قد بنى تفسيره الكبير (مفاتيح الغيب) انطلاقاً من هذه الفكرة . ويقول الشيخ -  
أدام الله في عمره ونفعنا بعلمه- إن الجمع بين القراءتين كان هو المنهجية البارزة  
للمصدر الأول ، وكان مصدر قوتهم المتمثل في الربط بين النص والواقع بطريقة  
جعلتهم يفهمون النص فهماً سليماً مكنهم من بناء تلك الحضارة الشامخة التي حققوا

المصنوعات الجارية بالانفعالات الطبيعية الروحانيات والجسمانيات العلويات والسفليات المعهورة بقدرة رب البريات ، المسخرات منه بحكم الإيرادات والمسبيات ، وما دبر في ذلك من استخراج الأمور الغامضات الخفيات والجليات ، وسائر العلوم الحقيقيات ، وقدّر في ذلك من المنافع والمضّرات والسعادات والشقاوات والحيات والممات والأسقام والصحّات ومعالجة الأبدان المريضة بالمعالجات الطبيّات ، وقلب الجواهر الخسيسات إلى الجواهر النفيسات ، ولما جرت بذلك العادات وظهر منه عظيم البركات ، استخرت الله تعالى في جميع ما استطعت من ذلك تأليفه في هذا الكتاب المبارك ؛ فهذبت كليته وأبعاضه وبيّنت ذاته وأعراضه بحسب ما ألهمني الله من التحقيق وهدائي به إلى أوضح الطريق وجعلته مختصراً للأهم مما هو أهم من ذلك ، وصقلت مرآته بالإيجاز للمهتدين ؛ ليسهل درسه على المنتهين وحفظه على المبتدئين ، وسميته : كتاب كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة . وقصدت تبيّنتي في ذلك وجه الله الكريم ونيل ثوابه العظيم ؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى .....))<sup>(١١)</sup> . راجياً بذلك أن ينيلني الله تعالى وإخواني عظيم فضله وعميم رحمته ، وأن ينفعني وإياهم بما وضعت من دقائق علمه وحكمته ، وأن يحققني وإياهم بحقائق معرفته ، إنه مجيب الدعاء فعال لما يشاء وهو على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

---

بها شهودهم الحضارى فى العالم قبل أن تظهر تلك العلوم الوسيطة التى تحولت إلى حائل بين العقل المسلم والنص الموحى ، فكان الجمع بين القراءتين للسلف الصالح منهجيته ، التفاعل السليم بين العقل المهتدى والنص المعصوم والواقع المتغير تفاعلاً جعل من فقه التنزيل وفهمه وآليات ربطه بالواقع وترشيد سبل الحياة بقيمة الأساس السليم للحضارة . [الجمع بين القراءتين قراءة الوحي وقراءة الكون] .

(١١) هو جزء من حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى : كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١) .

واختصرت الكتاب فى خمسة أبواب والله الموفق للصواب .

الباب الأول : فى علم الشريعة والحقيقة .

الباب الثانى : فى أصل علم الطبائع والمخلوقات من البداية إلى النهاية.

الباب الثالث : فى معرفة العقل والروح والنفس .

الباب الرابع : فى فضائل الأدمى ومعرفة الخالق والمخلوق من صورته .

الباب الخامس : فى استخراج العلوم الغامضة بسر الطبيعة .